الحديث الشريف

الدكتور كمال المصري

الفصل الدراسي الرابع

AYAAT ILM ACADEMY
أكاديمية آيات للعلوم الإسلامية

المحاضرة السادسة

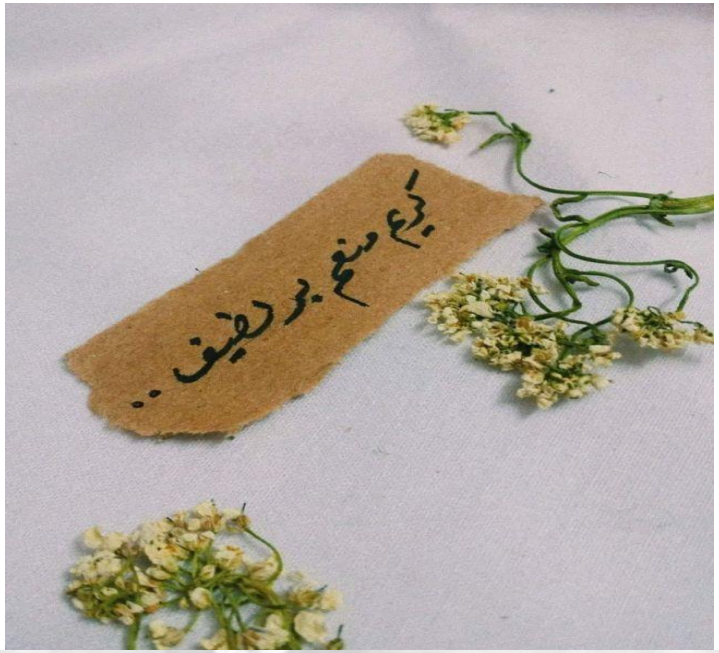

- عظيم لطف الله بعباده
- محبة الله لأوليائه

الحديث السابع والثلاثون: عظيم لطف الله بعباده

منزلة الحديث:

- قال الإمام ابن بطَّال: (في هذا الحديث بيان فضل الله العظيم على هذه الأمة؛ لأنه لولا ذلك كاد لا يدخل أحدٌ الجنة لأن عمل العباد للسيئات أكثر من عملهم الحسنات).
- قال الإمام ابن حجر الهيثمي: (ثم هذا الحديث حديثٌ شريفٌ عظيم؛ جامعٌ لأصناف الخير ومقادير الحسنات والسيئات، بيَّن فيه صلى الله عليه وسلم عن ربه ما تفضَّل الله تعالى به على عبيده).

الحديث السابع والثلاثون: عظيم لطف الله بعباده

معاني الحديث:

الكلمة	معناها
هَمَّ	أراد وقصد

شرح الحديث:

- **"فيما يرويه عن ربه"**: يُصنَّف هذا الحديث ضمن الأحاديث القدسيَّة على القول الأشهر، وخالف في ذلك عدد من المحدِّثين، والذي نراه هو ما قاله الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (والسلامة في هذا ألا تتعمق في البحث في هذا، وأن تقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم في ما يرويه عن ربه عز وجل، وكفى).

- **"إن الله كتب الحسنات والسيئات"**: يحتمل أن يكون المقصود الكتابة القدرية، وأن الله تعالى كتب كل أعمال العباد وما يفعلونه في اللوح المحفوظ؛ فما يفعلونه من الخير والشر ومن الحسنات والسيئات كتبه الله في اللوح المحفوظ، ويحتمل أن يكون المراد بالكتابة كتابة الملائكة الكتبة الذين يكتبون الحسنات والسيئات بأمر الله عز وجل.

الحديث السابع والثلاثون: عظيم لطف الله بعباده

- **"الحسنات والسيئات": الحسنات:** ما يُحمد فاعلها ويستحق بها الثواب، **والسيئات:** ما يُذمُّ فاعلها ويستحق بها العقاب.

- **"ثم بيَّن ذلك":** فصَّله ووضَّحه للكتبة من الملائكة حتى حفظوه واستغنوا عن السؤال كل مرة كيف يكتبونه.

- **"فمن هَمَّ":** هَمَّ أراد وقصد، والهَمُّ بالشيء القصد إليه بالقلب والعزم على فعله.

- **"فمن هَمَّ بحسنة فلم يعملها":** أراد الحسنة وترجَّح عنده فعلها، وعزم على ذلك، وبعد الهمِّ والعزم لم يفعلها لسبب من الأسباب.

- **"كتبها الله عنده حسنةً كاملة":** أمر الله تعالى بكتابة ثوابها كاملاً، **فإن قيل: كيف يثاب وهو لم يعمل؟** الجواب: **يثاب على النية الصادقة مع العزم**، وتُكتب حسنة "كاملة": لئلا يُظنُّ أن كونها همًّا يُنقِص ثوابها.

الحديث السابع والثلاثون: عظيم لطف الله بعباده

الهمُّ بالحسنة مع عدم فعلها على وجوه:

* أن يسعى المرء بأسبابها ولكنه لم يتمكن من إدراكها؛ فهذا يُكتب له الأجر كاملاً، لقول الله تعالى: {***وَمَنْ يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا***}.

* أن يهمَّ بالحسنة ويعزم عليه ولكن يتركها لحسنة أفضل منها؛ فهذا يثاب ثواب الحسنة العليا التي هي أكمل، ويثاب على هَمِّه الأول للحسنة الدنيا، ومثاله **أن رجلاً قام يوم الفتح فقال: يا رسول الله إني نذرت لله إن فتح الله عليك مكة أن أصلي في بيت المقدس ركعتين، قال : «صلِّ ها هنا»، ثم أعاد عليه، فقال: «صلِّ ها هنا»، ثم أعاد عليه فقال: «شأنك إذن»**؛ فهذا أمره النبي بالانتقال من حسنة أدنى إلى حسنة أعلى.

* أن يتركها تكاسلاً؛ فهذا يثاب على الهَمِّ والعزم، ولا يثاب على الفعل لأنه لم يفعله، ومثاله أن ينوي أن يصلي ركعتي الضحى مثلاً؛ فقُرع عليه الباب وذهب مع من أتاه دون أن يصلي.

AYAAT ILM ACADEMY
أكاديمية آيات للعلوم الإسلامية

الحديث السابع والثلاثون: عظيم لطف الله بعباده

- **"وإن هَمَّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات":** لأنه أخرجها من الهمِّ فصارت فعلا؛ فكُتب له بالهمِّ حسنة، ثم ضوعفت فصارت عشرا، وهذا أقل درجات التضعيف.

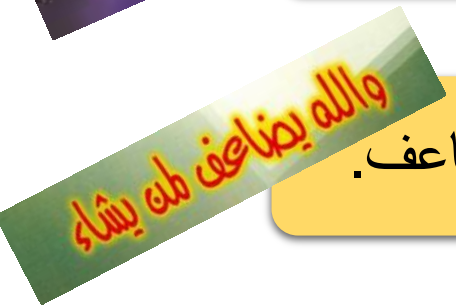

- **"إلى سبعمائة ضعف إلى أضعافٍ كثيرة":** تحت مشيئة الله تعالى إن شاء ضاعف وإن لم يشأ لم يضاعف.

- **"وإن هَمَّ بسيئةٍ فلم يعملها":** بأن ترك فعلها لوجه الله تعالى، **«وإن تركها** (أي السيئة) **فاكتبوها له حسنة إنما تركها من جرَّاي»** مسلم.. أي من أجلي.

- **"كتبها الله عنده حسنة كاملة":** تُكتب له حسنة كاملة لأنه تركها لله تعالى، ولأن رجوعه عنها بعد العزم خير كبير.

الحديث السابع والثلاثون: عظيم لطف الله بعباده

الهَمُّ بالسيئة مع عدم فعلها على وجوه:

* أن يهمَّ بالسيئة؛ أي يعزم عليها بقلبه وليس مجرد حديث نفس، ثم يراجع نفسه فيتركها لله تعالى؛ فهذا هو الذي يؤجر، وتُكتب له حسنة كاملة؛ لأنه تركها لله سبحانه ولم يعمل بها.
* أن يهمَّ بالسيئة ويعزم عليها لكن يعجز عنها بدون أن يسعى بأسبابها؛ فهذا تُكتب عليه سيئة، ولكن ليس كفاعل السيئة؛ بل ينال فقط وزر نيته، كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: **«وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوِزْرُهما سواء»**.
* أن يهمَّ بالسيئة ويسعى في الحصول عليها، ولكن يعجز عن ذلك؛ فهذا يُكتب عليه وزر السيئة كاملاً، ودليل ذلك حديث أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **«إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»، قلت: يا رسول الله، هذا القاتل؛ فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه»**؛ فكُتبت عليه عقوبة القاتل.
* أن يهمَّ بالسيئة ثم يعزف عنها لا لله تعالى ولا لعجز عنها، وإنما لأنه غيَّر رأيه؛ فهذا لا له ولا عليه.

الحديث السابع والثلاثون: عظيم لطف الله بعباده

- **"وإن هَمَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة":** كما قال الله تعالى: ﴿***وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا***﴾.

الصغائر من الذنوب تُغفر باجتناب المرء الكبائر، وبفعل الحسنات، أما الكبائر فلا تُغفر إلا بالتوبة.

قال الإمام النووي: (فانظر يا أخي وفقنا الله وإياك إلى عظيم لطف الله تعالى، وتأمل هذه الألفاظ.
وقوله: "عنده" إشارة إلى الاعتناء بها.
وقوله: "كاملة" للتأكيد وشدة الاعتناء بها.
وقال في السيئة التي هم بها ثم تركها: "كتبها الله عنده حسنة كاملة"؛ فأكدها بـ"كاملة".
وإن عملها كتبها سيئة واحدة؛ فأكد تقليلها بـ"واحدة"، ولم يؤكدها بـ"كاملة"؛ فلله الحمد والمِنَّة، سبحانه لا نُحصي ثناء عليه).

الحديث السابع والثلاثون: عظيم لطف الله بعباده

ما يستفاد من الحديث:

- إثبات كتابة الحسنات والسيئات وقوعاً وثواباً وعقابا.
- من فضل الله عز وجلَّ أن من همَّ بالحسنة وعزم عليها ثم لم يعملها كتبها الله تعالى عنده حسنة.
- رحمة الله تعالى بعباده بمضاعفة الحسنات.
- من فضل الله عز وجلَّ أن من همَّ بالسيئة ولم يعملها كتبها الله تعالى حسنة كاملة؛ فإذا عملها كتبها سبحانه سيئة واحدة.

خلاصة الحديث:

الحديث يبيِّن فضل الله تعالى على عباده في الهمِّ قبل الفعل؛ فمجرد الهمَّ بالعمل الطيب مع العزم عليه يُكتب فيه ثواب للعبد حتى وإن لم يعمل؛ فإذا عمل تضاعفت الحسنات.

وكذا فضل الله تعالى في إثابة حتى من راودته السيئة ولم يعملها؛ فإذا عملها كُتبت سيئة واحدة لا أكثر.

هذا الحديث باب واسع من فضل الله تعالى ينبغي على المسلم استثماره في كسب الثواب ومضاعفة الحسنات.

الحديث السابع والثلاثون: عظيم لطف الله بعباده

المناقشة:

- ما معنى "هَمَّ"؟
- اذكر/ي وجوه الهَمِّ بالحسنة؟
- اذكر/ي وجوه الهَمِّ بالسيئة؟

الحديث الثامن والثلاثون: محبة الله لأوليائه

الحديث الثامن والثلاثون: محبة الله لأوليائه

منزلة الحديث:

- ورد في كتاب "الوافي في شرح الأربعين النووية": (هذا الحديث الشريف يبين من هم أولياء الله وأحباؤه في الدنيا والآخرة؛ ولذلك قيل عنه: إنه أشرف حديث في ذكر الأولياء).
- قال الوزير الإمام ابن هُبَيْرَة: (في هذا الحديث من الفقه أن الله تعالى قدَّم الإعذار إلى كل من عادى وليًّا بأنه مُحارِبُه بنفس المعاداة).

معاني كلمات الحديث:

الكلمة	معناها
عادى	اتخذ عدوًّا، من المعاداة
وليًّا	فعيل بمعنى فاعل؛ وهو القرب والدنوُّ
آذنته	أعلمتُه
النوافل	جمع نافلة، وهي الغنيمة والعطية والزيادة
استعاذني	طلب العَوْذ، وهو اللجوء والاعتصام

الحديث الثامن والثلاثون: محبة الله لأوليائه

شرح الحديث:

"إن الله تعالى قال"
هذا يدل على أن هذا الحديث حديثٌ قدسيٌّ

"من عادى"
من المعاداة، أي اتخذ عدوًّا

"وليًّا"
الوليُّ هو القريب والداني، وقد سمي بذلك لأنه والى عبادة الله تعالى وطاعته ولم يقطع ذلك؛ فاقترب ودنا من الله تعالى باتباع أوامره واجتناب نواهيه والإكثار من النوافل.

"من عادى لي وليًّا"
- اتخذه عدوًّا له.
- بيَّن الله تعالى من هم الأولياء بقوله سبحانه: **{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ }**، قال شيخ الإسلام ابن تيمية تعقيباً على هذه الآية الكريمة: (فحَدُّ أولياء الله هم المؤمنون المتقون).
- قال الإمام الجرداني: (الوليُّ هو العارف بما يجب لله، وما يجوز، وما يستحيل، المواظب على الطاعات، المجتنب للمعاصي؛ المُعْرِض عن التوغُّل في اللذات المباحة، كالتوسع في لذيذ المآكل والمشارب والملابس دائماً؛ فلا يكون الوليُّ إلا عالِما).

الحديث الثامن والثلاثون: محبة الله لأوليائه

"فقد آذنته بالحرب"
أعلمته أنني محارب له، وأنني قد أعلنت عليه الحرب لمعاداته أولياء الله تعالى

"فقد آذنته بالحرب"
عاملته معاملة المحارب من التجلي عليه بمظاهر القهر والانتقام، ثم الإهلاك.

"من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب"
قال الإمام الهيثمي في معنى معاداة الولي: (إيذاء من ظهرت عليه أمارات الولاية من قيامه بحقوق الله تعالى وحقوق عباده؛ إما بإنكارها عناداً أو حسدا، أو بعدم الجري على ما ينبغي له من التأدب معه، أو بنحو سبِّه أو شتمه أو نحو ذلك من الإيذاء التي لا مسوغ لها شرعاً مع علم متعاطيها بذلك، وإذا عُلِم ما في معاداة الولي من عظيم الوعيد والتهديد؛ عُلِم ما في موالاته من جسيم الثواب وباهر التوفيق والهداية والقرب والتأييد)

الحديث الثامن والثلاثون: محبة الله لأوليائه

"وما تقرَّب إليَّ عبدي"
ما طلب القرب إليَّ رجاء رضائي ورحمتي وثوابي

"بشيء"

بعمل

"أحبَّ"
صفة لـ"شيء" مجرور بالفتحة عوضاً عن الكسرة لأنه لا ينصرف للوصفية ووزن الفعل، ويجوز رفعه على أنه خبرٌ لمبتدأ محذوف أي: هو أحبُّ؛ لكن رواية الحديث جاءت بالفتح

"وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضتُّ عليه"
من أداء ما افترضت عليه عيناً كان أو كفاية؛ كالعبادات، وأداء الحقوق إلى أصحابها، وبر الوالدين، والجهاد في سبيل الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعمارة الأرض، وعدم الإفساد، وغير ذلك من الفرائض

الحديث يدلُّ على أن جنس الفرائض أحبُّ إلى الله تعالى من جنس النوافل

الحديث الثامن والثلاثون: محبة الله لأوليائه

"وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه"

يستمر بالتقرُّب إلى الله تعالى بالنوافل حتى يحبه الله عز وجل؛ فيكون من أحباب الله سبحانه

"بالنوافل"

جمع نافلة وهي الغنيمة والعطية والزيادة، وهي شرعاً ما زاد على الفرائض من العبادات؛ كالتطوع في العبادات والصدقات وأعمال الخير عموما

"فإذا أحببتُه"

لتقربه لله تعالى، وامتلاء قلبه بالإيمان

"كنت"

أي صرت حينئذٍ، واستخدم لفظ الماضي "كنت" باعتبار أن الأمر واقع لا محالة فغدا كأنه وقع

الحديث الثامن والثلاثون: محبة الله لأوليائه

"كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يُبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها"

- كنت حافظ هذه الجوارح؛ فلا يَستخدم هذه الجوارح إلا في طاعة الله تعالى وعلى الوجه الذي يُرضيه سبحانه، إذ لا يَسمع إلا ما يحلُّ سماعه، ولا يُبصر إلا ما ما يحلُّ إبصاره، ولا يَستخدم يديه إلا في ما يحلُّ استخدامه، ولا يَمشي برجليه إلا حيث يحلُّ السعي إليه.
- معناه أيضا: كنت له في النصرة والتأييد كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة.
- معناه كذلك: كنت كسمعه وبصره ويده ورجله في إيثاره أمري؛ فهو يحبُّ طاعتي، ويُؤثر خدمتي؛ فيستخدم هذه الجوارح في ذلك.

الحديث ليس على ظاهره؛ فسمع الخالق سبحانه غير سمع المخلوق، إذ سمع المخلوق حادثٌ ومخلوق

الحديث الثامن والثلاثون: محبة الله لأوليائه

"ولئن"

بلام القسم؛ أي: والله لئن

"سألني"

طلب مني أي شيء

"لأعطينه"

باللام الواقعة في جواب القسم؛ أي لأجيبنَّ دعوته، وأعطينَّه طلبه

"ولئن استعاذني"

طلب مني أن أُعيذه مما يخافه

"لأعيذنه"

أكون ملجأ له وأعيذه مما يخاف

في الحديث ردٌّ على من زعم أن الوليَّ له منزلة من بلغها سقطت عنه التكاليف؛ إذ الحديث يدلُّ على أن من بلغ مرتبة الولاية عليه أن يزداد حفاظاً على الفرائض والنوافل.

الحديث الثامن والثلاثون: محبة الله لأوليائه

تتفاضل الأعمال من حيث الجنس والنوع والفرد المؤدي لها:

- من حيث الجنس: الفرائض أحب إلى الله من النوافل.

- من حيث النوع: هناك أعمال أفضل من أعمال، فقد تعددت الأحاديث التي تحدد أي الأعمال أفضل؛ ومنها:

*** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سئل النبي : أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ»، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللهِ»، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ»** البخاري.

*** عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ : أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الصَّلاةُ لِوَقْتِهَا وَبِرُّ الوَالِدَيْنِ ثُمَّ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»** البخاري.

- من حيث الفرد المؤدي لها: كم من مسلمَيْن أدَّيا الفريضة أو النافلة نفسها ثم اختلفت مرتبتهما عند الله تعالى كاختلاف الليل والنهار وتباعدت منزلتهما عند الله سبحانه كتباعد السماء والأرض.

- **قال الإمام ابن العطار:** (وفي هذا الحديث الزجر العظيم عن معاداة أولياء الله تعالى ومشاقاتهم ومخالفتهم، وأن من تعرض لذلك فقد عرَّض نفسه للهلكة ولمقت الله تعالى، أعاذنا الله من ذلك).

- **قال الإمام الهيثمي:** (وهذا الحديث أصلٌ في السلوك إلى الله تعالى والوصول إلى محبته ومعرفته وطريقه).

الحديث الثامن والثلاثون: محبة الله لأوليائه

ما يستفاد من الحديث:

- أولياء الله تعالى هم أحباؤه.
- معاداة أولياء الله تعالى من أعظم الذنوب.
- الحث على الأعمال الصالحة وأنها تقرِّب إلى الله عز وجل.
- الفريضة أحب إلى الله تعالى من النافلة.
- من واظب على النوافل بعد التزامه بالفرائض أدرك عدة فضائل:
  * محبة الله تعالى (ما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل...).
  * معيَّة الله تعالى (كنت سمعه الذي يسمع به...).
  * استجابة الله تعالى لدعائه (ولئن سألني...).
- تقديم الأساسيات على التحسينيات، والركائز على التوابع.

خلاصة الحديث:

في الحديث تقديرٌ لأولياء الله تعالى، وحثٌّ للمسلمين على العمل كي يصلوا إلى هذه المنزلة، وفيه كذلك تحذير لمن يعادون هؤلاء الأولياء بالوعيد الشديد، وأن هذه المعاداة من أعظم الذنوب، ويترتب عليها أعظم العواقب بمحاربة الله تعالى لهم.

بيَّن الحديث من هم أولياء الله تعالى، وما الطريق الموصلة إلى هذه الولاية، وما الفوائد العظيمة التي يجنيها وليُّ الله تعالى بوصوله إلى هذه المنزلة.

الحديث الثامن والثلاثون: محبة الله لأوليائه

المناقشة:

- ما معنى "عادى"؟
- من هو الوليُّ؟ وكيف يصل الإنسان إلى هذه المرتبة؟.
- ما المقصود بـ"كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها" في الحديث؟

محمد
صلى الله عليه وسلم